٢ ـ الصفات السلْبية

وهي خمس:

القدم، البقاء، المخالفة للحوادث، القيام بالنفس، الوحدانية[١]. وليس المراد بكونها سلبية، أنها مسلوبة عن الله ومنفية عنه، وإلاّ لزم أن يثبت له الحدوث وطرو العدم ومماثلة الحوادث، بل المراد بكونها سلبية: أنّ كل واحدة سَلَبت (نفَت) أمراً لا يليق به جلّ وعز[٢].

فالقدم سلب لأولِيّة الوجود، والبقاء سلب لآخرِيّة الوجود... وهكذا. والحق أن الصفات السلبية لا تنحصر في هذه الخمسة، إذ من جملتها: أنه لا ولد له، ولا زوجة، ولا بسيطاً، ولا مركباً، ولا في مكان، ولا زمان، ولا جهة، وغير ذلك، وإنما اقتصر على هذه الخمسة، لأنها أمهاتها[٣].

وهذه الصفات لم يختلف بها العلماء، بل يتفق الجميع على القول بها.

١ ـ القِدَم:

القِدَم في حقه تعالى بمعنى الأزلية، التي هي كون وجوده غير مستفتح، فليس معناه تطاول الزمن، فإن ذلك وصف الحادثات[٤].

أو بعبارة أخرى:

---

(١) حصرها بهذا الصدد: الباجوري في شرح الجوهرة ج١ ص٥٠ والدّردير في شرح الخريدة، والصاوي عليه ص٥٨. والطائي في رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة ص٢٥.

(٢) الصاوي على الدردير ص٧٦.

(٣) المصدر السابق ص٦٠ والباجوري على الجوهرة ج١ ص٥٠.

(٤) المسامرة على المسايرة ص٢٢.

معنى القدم: هو أنّ وجود الله غير مسبوق بالعدم، فالله ليس له بداية[1].

وضدّ القِدم: الحدوث.

الدليل العقلي على قدمه تعالى:

إن الله تعالى لو لم يكن قديماً لكان حادثاً، إذ لا وسط بينهما. ولو كان حادثاً لاحتاج إلى محدِث يُحْدثه، ومحدِثه يحتاج إلى مُحدِث... وهكذا. فيلزم الدور أو التسلسل، وكلّ منهما محال، فوجب أن يكون قديماً[2].

الدليل النقلي على قدمه تعالى:

قوله تعالى: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ في الآية: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

تصور صفة القدم:

من السهل على الإنسان أن يفهم صفة الرحمة والعدل والجلال... في ذات الله تعالى، لأنه يفهم آثارها، ويستطيع أن يدرك معانيها في الحياة بحواسه، إلا أنه يستحيل عليه أن يدرك صفة القدم أو صفة البقاء، لأنه لا يحتفظ بصورة لها في الحياة، لأنها خاصة بذات الله تعالى. لكن لا تعني الاستحالة الخيالية إنكار هاتين الصفتين، لأن العقل يجزم بثبوتهما ـ كما بيّنا ذلك في الدليل العقلي ـ.

فرُبّ أمرٍ يدرك العقل إمكانه أو وجوده، وهو في الوقت نفسه يعجز عن تصوره وإدراك كنهه، وقديماً قال الفلاسفة وعامة العقلاء: (عدم الوجدان للشيء لا يستلزم عدم وجوده في الواقع)[3].

٢ ـ البقاء:

ومعناه: أن الله تعالى أبدي، ليس لوجوده آخر، فيستحيل أن يلحقه العدم والفناء[4].

وضد البقاء: الفناء.

---

(١) المصدر السابق وشرح ابن قُطْلُوبُغا على المسايَرة (بهامش المسامَرة) ص٢٢.

(٢) شرح المواقف ص٤٧٠ والمسامرة ص٢٢ وشرح الخريدة للدردير ص٦٠ ـ ٦١ والباجوري على الجوهرة ج١ ص٥٠ والاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي، بيروت سنة ١٩٦٩ ص٩٢.

(٣) كبرى اليقينيات الكونية ص١١٨ ـ ١١٩.

(٤) المسامَرة ص٢٤.